الجزء الثاني عشر المجلد الاول

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١ شباط و١٩ ك٢ ش سنة ١٩٠٩

المال بازاء الجمال

— ١ —

كان يقيم في احد المنازل الصغيرة من برلين امرأة ارملة لها ابنة وحيدة يقال لها ليزا. وهي فتاة في مقتبل العمر وقد حباها الخالق جمالاً رائعاً وخلقاً حسناً وذكاءً مفرطاً. وكانت تتعاطى الكتابة مهنةً فتنفق مما تكسبه منها على نفسها وعلى والدتها

وفي احد ايام الربيع الجميلة كانت هذه الفتاة جالسة في غرفتها تكتب خاتمة رواية كبيرة من تاليفها. وما كادت تفرغ منها حتى وثبت عن كرسيها فصفقت طرباً وخرجت حيث كانت والدتها فبشرتها بفراغها من هذه الرواية التي استغرقت نحو ستة اشهر من حياتها

فاشرق وجه الوالدة لدى سماعها ذلك ونهضت فقبلت ابنتها وهي تهنئها . ثم بادرت واياها الى غرفة الكتابة فاخذت الرواية عن المائدة وقرأت الخاتمة وهي معجبة بمواهب ابنتها ومقدرتها العلمية وتفننها ثم قالت لها لست اشك في ان مدير المجلة سيتلقى روايتك هذه بكل سرور وسيكافئك عليها احسن مكافأة وحينئذٍ يمكننا في فصل الصيف ان نغادر برلين الى احد المصايف في الجبال حيث تستطيعين ان ترتاحي قليلاً من عناء اشغالك العقلية وتباشرين بعد ذلك في انشاء رواية اخرى تكسبكِ ولا شك صيتاً طائراً وتجعل اسمكِ محل اعجاب جمهور القراء . ومتى تم لك ذلك وجمعت من المال ما يكفي للبائنة (الدوطة) زففتك الى حبيبك فريتس وامنت لكليكما عيشاً رغيداً سعيداً . فاحمرّت الفتاة وقالت — عجباً يا اماه انت على الدوام تذكرين هذه البائنة كانها هي سبب كل سعادة مع انها لم تخطر لي قط وحسبي ان احبك واحب فريتس ولست اريد المزيد . نعم ان سعادة الفتاة في زواجها على ان تكون في الفة ومحبة مع زوجها واولادها اذ حينئذٍ تكون حياتها ذات قيمة وفائدة . غير اني لا ارى الان من نفسي ميلاً الى الزواج فانا لم ازل صغيرة وفريتس كذلك وفوق هذا فان لفريتس عدة عمات غنيات وطاعنات في السن فلا بُدّ ان يستولي بعد وفاتهن على ثروة صالحة لا تذكر معها بائنتي مهما بلغت . وبناءً عليه فالانتظار اولى ولا سيما لان ذلك لا يصعب عليَّ كما انه لا يصعب عليه ايضاً .

فنحن نحب بعضنا حباً لا تزيده الايام الاَّ رسوخاً وقوة وكل منا منشغف بعمله فلا يرى ضجراً ولا مللاً . فانا مثلاً حينما اكتب رواية وأصف فيها حياة الناس واحوالهم أنسى حياتي الخصوصية ويلذني ذلك كثيراً وفريتس الان يحسب من الضباط الممتازين وجنراله يميل اليه ويحبه كثيراً . ولما زارني في المرة الاخيرة قررنا ان تُعقد الخطبة بيننا دفعاً لتخرصات الناس واقاويلهم لانهُ وان كان من اقاربنا فزياراتهُ المتواصلة قد تجعل سبباً للظنة والانتقاد . فقالت الوالدة — اعملي ما بدالك يا ريحانتي فقد منحك الله عقلاً ذكياً لا تحتاجين معهُ الى النصح والارشاد

— ٢ —

وما اتمت الام حديثها حتى قرع الباب فخرجت الفتاة وفتحتهُ ولم تلبث ان عادت الى امها وهي تقول هذه صديقتنا السيدة حنة قد شرفتنا يا اماه . ثم دخلت السيدة التي ذكرتها ليزا وهي امرأة متوسطة العمر وعليها لباس يدل على انها من اهل النعيم . فحيت صاحبة المنزل وتبادلنا حديث الصداقة والمودة . وبعد ان جلست الزائرة حيناً قالت لليزا — هل فرغت ايتها العزيزة من كتابة الرواية ؟ فاجابت الوالدة عن ابنتها نعم قد فرغت منها في هذا النهار والحمد لله وهي من نفائس الروايات . فبدا السرور في وجه الزائرة فقامت وعانقت ليزا وقالت اهنئك يا عزيزتي واتمنى لك كل اقبال واني احسدك لانك

اذا شرعت في عمل فانك تعكفين عليه حتى النهاية ولو كان من الاعمال الكبيرة والخطيرة . والان فينبغي لك ان تاخذي نصيباً من الراحة . وقد جئت ادعوك ووالدتك لاجل مناولة طعام العشاء عندنا في هذا المساء وقضاء السهرة معاً

فقالت ليزا ـ نشكركِ ولكن ما الداعي لهذه الدعوة فهل من سبب خصوصي لذلك ؟ قالت ـ ليس لذلك من سبب سوى ان صاحبنا المثري الشهير الخواجا ماير صاحب المئة مليون يريد ان يزورنا فاغتنمتُ هذه الفرصة لادعوكما ايضاً ليزداد انسنا بوجودكما . فقالت الوالدة وهي في اشد حالات الاستغراب ـ صاحب مئة مليون ! صدقيني ان ذلك اثم عظيم ان تكون ثروة انسان واحد مئة مليون مارك (١) . فتبسمت الزائرة وقالت ـ صدقتِ وليس في ذلك شيء من العدل . فلو احصيت واردات هذا الرجل لبلغت في اليوم الواحد فقط مبلغاً عظيماً يكفل حياة المئات والالوف من الناس اياماً عديدة . ثم التفتت الى ليزا وقالت ـ انت يا ليزا تتعبين وتكتبين وبعد الاجهاد الكلي يمكنك ان تؤلفي رواية في مدة ستة اشهر او اكثر فاذا كانت حسنة جداً واشتهرت بهذا الفن فربما يعطيك صاحب المجلة ثمنها عشرة الاف

---

(١) المارك عملة المانية تساوي فرنكاً و٢٣ سنتيماً او نحو ٦ غروش و ٣٠ بارة

مارك · فاعلمي ان هذه القيمة تساوي خُمس الدخل الذي يتقاضاه الخواجا ماير يومياً من ريع امواله فقط · غير ان هذا الرجل مع كل هذه الثروة النادرة علَى جانب عظيم من التواني والكسل فهو لا يعمل شيئاً ولا يهتم بشيء وجميع معامله ومناجمه واملاكه وعقاراته يديرها اناس بالاجرة · ولا اكتمك ايضاً ان جميع هذا الغنى لم يحصله ماير بنفسه بل ورثهُ عن والده وهذا اكتسبهُ بطريق التوفيق والبخت من البورصة · والان فبيننا وبين هذا الرجل معرفـة وصداقة مع اني لا اكرمه الاماله وخصوصاً الان زوجي مع ما أُوتيه من الحظ الوافر من العلوم والمعارف والشهرة يحتاج على الدوام هذا المثري و يضطر الى تبجيله وتعظيمه واحياء السهرات الحافلة اكراماً لهُ · فقالت ليزا — وما الذي يضطر زوجك وهو عالم كبير الى التمليق والتزلف الى مثل هذا الصنم ؟

اجابت — انتِ غير خبيرة ياليزا باحوال هذا العالم مع انهُ يتوجب عليكِ ككاتبة ان تكوني اكثر خبرةً ودربةً · فالدكتور بورغمان (اسم زوجها) كاتب ماهر وعالم مشهور ولكنه قليل ذات اليد · فهو يريد ان ينشىء جريدة ولكن ليس لديه ما يقوم بنفقاتها فيضطر والحالة هذه الى مصادقة الخواجا ماير املاً بانه يسعفه بحاجتهِ · قالت ولكن الدكتور بورغمان كما أعلم لهُ جريدة · قالت — هذه ليست لهُ بل هو يحررها بالاجرة ولذلك فهو يريد ان ينشىء لنفسه جريدة يستقلُّ

بهاوليس له لاجل تحقيق هذه الامنية الآ الخواجا ماير . واني اود من لباب القلب ان تتعرفي ياليزا به لانك تقدرين حالاً ان توقعيه في شرك حبك فتصبحين زوجة صاحب هذه الملايين التي لا تحصى . فاحمرت الفتاة خجلاً وقالت بازدراء اشكرك ايتها الصديقة فانا لا احتاج مثل هذا الزوج العظيم لاني لست من مقامه . قالت انا لا اكتمك ان ماير لا يمكن ان يكون زوجاً حقيقيًا متصفاً بالصفات الادبية اللطيفة التي ينبغي لكل زوج ان يتزين بها . ولكن لا تنسي ملايينه فهي كافية لان تجعلك اسعد من ملكة تحسد على هذه النعمة فتقضين حياتك معهُ في تمام السعادة والنعيم . قالت ان الملايين وحدها ايتها الصديقة لا تجعل الحياة سعيدة وانما سعادة المرء في يدي حبيبه الذي يميل اليه وليست في الدنانير الخرساء . ولكن ما لنا ولهذا الكلام . قالت ـ وانا لم يبق لي من الوقت الآ بضع دقائق فأرجوك ياليزا ان تحضري مع والدتك ولا بأس من ان تتعرفي بالخواجا ماير فانهُ يكون موضوعاً لرواية تكتبينها وتفيدين بها القراء . قالت اشكرك وأعدك بانني سأحضر مساء صحبة والدتي اذا لم يعوقنا مانع

— ٣ —

ثم قامت الزائرة فودعت وانصرفت و بقيت الام وابنتها تتحدثان في امور شتى حتى اذا صار وقت الغداء نهضتا وجلستا الى مائدة الطعام وما كاد يستقر بهما المقام حتى سمعتا قرع جرس المنزل . فنهضت ليزا

وفتحت الباب وكان القادم حبيبها فريتس . فاستقبلتهُ بمحبتها المعهودة ثم تابطت ذراعه ودخلت به غرفة الطعام وجلسوا جميعاً ياكلون ويتحادثون والسرور طافح علَى وجوههم . وكان فريتس هذا فتى حلو الشمائل رقيق العواطف بهي الطلعة وقد تعرَّف بليزا مذ كانا صغيرين وتولد بين قلبيهما حبٌّ هو ابسط واطهر وأمتن ما يسمى حباً وكان الواحد لا يرى بهجةً ولا لذةً بدون الاخر ولم تزل المحبة تتمكَّن من صدريهما بمنتهى الطهارة والعفاف حتى امتزجت ارواحهما وشُغفا ببعضهما وصار الواحد يشعر انه يحيا للاخر فقط

وبعد مناولة الطعام قام الثلاثة فجلسوا في غرفة الجلوس وخاضوا في الاحاديث المختلفة وقد اقرَّ رأيهم على اليوم الذي يجب ان توزَّع فيه رقاع الدعوة علَى الاصحاب والاقارب بمناسبة عقد خطبة ليزا لفريتس ثم افضوا الى ذكر المأدبة التي دُعيت اليها ليزا ووالدتها في ذلك النهار وذكروا اسم المثري الشهير الذي لاجله انما ستقام هذه المأدبة . فقال فريتس — ما اكثر الناس الذين يتزلفون الى ذوي الغنى والجاه . . والذي يدهشني على الخصوص ان يكون المتزلِّف مثل الدكتور بورغمان زوج السيدة حنة التي دعتكما فكيف يعقل ان تكون صداقة بين العلم والمال؟ فهما شيئان مضادَّان ولا يمكن الجمع بينهما فاما ان يحب الانسان المال فينصرف بكله اليهِ او العلم فيحيا به . فوافقته ليزا على هذا المبدأ . وبعد محادثة قصيرة في مواضيع شتى قال فريتس

ليزا ووالدتها — الطقس جميل فهل تريدان ترويح النفس قليلاً في الخلاء ؟ فاعتذرت الوالدة بعدم تمكنها وقالت ليزا — اما انا فسانطلق معك بشرط ان توصلني الى صديقتي مدام كوخال لان لي معها شاناً · فابتدرتها والدتها بقولها — واي شأن لك مع هذه المرأة · بل ماذا يحبب اليك مجالستها وهي اكثر النساء شراسة وحدة · فقال فريتس لا تلوميها يا سيدتي فهي قليلة الحظ جداً وما سبب تعسها وشقائها الا ابنها هربرت الذي طالما اهانها ونغص عيشها حتى صارت بهذه الاخلاق الفظة مع انها والحق يُقال سليمة القلب كاملة الاداب الى درجة قصوى غير ان ابنها المذكور شاب جاهل دابهُ السكر والخلاعة والمقامرة وليس لديها من المال ما ترضي اهواءه وملاذه ولاهي تقدر على نهيه وردعه وحمله على الاقلاع عن هذه المنكرات · فقالت ليزا ولعلهُ لا يعيش مع والدتهِ لاني لم اره عندها ولا مرة مع ان زياراتي اليها كثيرة · او ليس لابنها شغل يلهو به ؟ قال ليس له شغل الا تعهد الحانات و بيوت القمار وهو قد غادر بيت والدته وشرع يعيش لوحده متفنناً في سائر ضروب القصف والبذاءة والفجور ولكنه مع هذا قد اشتهر كثيراً بفن المبارزة فليس لاحد ان يغلبه ولو بالحيلة

وبعد هذا الحديث خرج فريتس وليزا من المنزل وانطلقا الى جهة بيت مدام كوخال حتى اذا بلغاه ودع فريتس حبيبتهُ وسار

لشأنه ودخلت ليزا البيت حيث اقامت بعض الوقت ثم عادت الى منزلها

— ٤ —

ولما أقبل المساء استأجرت ليزا عربةً وانطلقت وحدها الى دار الدكتور بورغمان وقد ابت والدتها ان ترافقها الى هناك لانها شعرت بانحطاط في قوتها فآثرت البقاء في بيتها. ولما دخلت ليزا ردهة الاستقبال قامت صاحبة المنزل فاحتفت بها ودعتها للجلوس. وكان في الردهة جمهور من الكتاب والكاتبات والشعراء والادباء الذين كانت ليزا تعرفهم حق المعرفة ولكن لم يكن هناك الخواجا ماير فكان الجميع ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر لانهم انما دُعوا لاجل مشاهدته ومحادثته والاحتفاء به. وكان الدكتور بورغمان زوج السيدة حنة يلاطف الجميع ويؤانسهم وكله آمال بان هذه الأدبة ستسر الخواجا ماير فينال في عينيهِ بسببها الحظوى والانعطاف

ولم يطل الانتظار كثيراً حتى حضر ماير فاستقبله الدكتور بورغمان احسن استقبال ودخل به الى الردهة وعرَّفه بجميع الحاضرين. وكان هذا الغني ممتلىء الجسم بسن الثلاثين غيران هيئة وجهه كانت تدل علَى انه فوق الاربعين. ولما جلس دارت بين الجميع الاحاديث المختلفة. وكان كل منهم يقص ما يحضره من الاخبار وليزا صامتة تختلس النظرات من حين الى اخر الى جهة الغني وكلما تأملتهُ

كانت تزداد كراهة لهُ واشمئزازاً منه وكان يدهشها على الخصوص اصغآء الجميع لاخباره ولو كان حديثه تافهاً جداً · ولم يكن بين الحضور فتاة حديثة السن الا ليزا فكانت مرمى لابصار الجميع · وكان ماير ينظر اليها من وقت الى اخر وهو يتامل جمالها و يرى من نفسه ميلاً غريباً الى محادثتها · واخيراً التفت اليها وقال — اراني مسروراً جداً ايتها الانسة اللطيفة بمعرفتي اياك في هذه الليلة و يعجبني فيكِ على الخصوص انك بتمام العافية والبهاء مع اننا في اخر الشتاء · فتبسمت ليزا بازدراء وقالت وانا أرى ياسيدي ان مناخ برلين لا يوافقك في الشتآء فلو قضيت هذا الفصل من السنة في جهات الجنوب لكان ذلك افضل لك

قال — لا · فقد كنت اقضي في جهات الجنوب اكثر فصول الشتاء بلا فائدة تذكر بل كنت ازداد ضجراً ومللاً · قالت — ليس للضجر يا سيدي من دواء الا الشغل فاشتغل تنبسط نفسك و يزول عنك كل ملل · فضحك الغني وقال — و باي شيء تريدين ان اشتغل ؟ او لا تعلمين ان الانسان يشتغل لغاية خصوصية فاذا كان محتاجاً فيشتغل لتحصيل رزقه واذا كان من اهل العلوم والفنون و الصنائع فيشتغل لمصلحته واما انا فلست من تلك الفئة ولا من هذه فلست محتاجاً لان اشتغل وليس لي ميل للعلوم والفنون حتى اذا مارستها استطيع ان اكتسب صيتاً وشهرة · قالت لا احد من ارباب العلوم

والفنون يشتغل لاجل اكتساب الشهرة او الصيت وانما هم يشتغلون لشدة ولعهم بهذه الامور السامية التي تكسبهم بالرغم عنهم شهرةً ذائعة . وكم من فائدة عظيمة يقدر الاغنياء ان يفعلوا لو ارادوا وهي تكسبهم ولا شك ما شاؤوا من الشهرة والاحدوثة الطيبة غير انهم لسوء الحظ لا يفتكرون الا بادّخار الاموال وتكثيرها ولهذا السبب يرون في حياتهم نقصاً كبيراً فيملون الحياة وتدركهم السآمة والضجر . ولما كانت ليزا تتكلم ازداد تورُّد خديها وبريق عينيها فانجذب ماير بكله اليها ومال الى حديثها كل الميل . ولما جلسوا الى مائدة الطعام جلس بقربها وجعل يتامل في حركاتها ومحاسنها فرأى جمالاً مفرطاً وذاتاً فتانة قد اجتمعت فيها المعرفة والرقة والآداب فافتتن بها وسحر بعذوبة لفظها ولم يكن يحول نظره عنها . اما هي فكانت تزداد نفوراً منه وقد ندمت على محادثتها اياه

وبعد العشاء عاد الجميع فجلسوا في الردهة واخذ الخواجا ماير يقص على الحضور اخبار المسابقات ويطنب بمديح جياده فلم تعد ليزا تستطيع البقاء لان ضجراً شديداً تولاها في تلك الساعة فخرجت خفية من الردهة والتقت بصاحبة المنزل في الباب فهمست اليها كلمة الوداع معتذرة بانها مضطرة الى الانصراف بداعي انحراف والدتها فيتحتم عليها العودة لتهتم بامرها . فاستاءت حنة لذلك . ولما لم تقدر على اقناعها بالبقاء ودعتها ودخلت الى ضيوفها

— ٥ —

وما كادت ليزا تصل الى الباب الخارجي حتى سمعت وقع اقدام وراءها عَلَى السلم فالتفتت واذا بها ترى الخواجا ماير نفسه يتبعها وقد نزل لتشييعه صاحب المنزل وزوجته وهما يشكران تلطفه ويعدَّان هذه الليلة من اسعد ليالي الانس والصفاء. ولما صار ماير بازاء ليزا التفتت اليه وسألته بتعجب — ما بالك تركت السهرة ياخواجا ماير؟ قال لان لي شغلاً في بعض الاندية ولذا تريني مسروراً لاني اتمكن من مرافقتكِ الى اقرب مواقف العربات فاين منزلكِ؟ قالت في شارع بيولوف. قال — ان المسافة الى هناك بعيدة وربما تكون ذات خطر على فتاة جميلة مثلك وعليه فاسمحي لي ان ارافقك شطراً من الطريق لئلا تستوحشي او يصيبك مكروه. ولما لم ترَ ليزا بأساً من مرافقته اجابت بكل احتشام وسارت واياه. فظهرت علامات السرور عَلَى وجه الغني ونادى بعربته وامر الحوذي ان يسبقهُ الى منتدى اللعب وينتظره هناك. فادار الحوذي رؤوس الجياد وسار ينهب الارض نهباً. ومشى ماير الى جانب ليزا وكانت هي لا تزال تنظر الى العربة فقالت — ان هذه الخيول حسنة جداً. قال — نعم وهل انت تفهمين شيئاً عن الخيول؟ قالت — نعم لان ابي كان عنده جياد كثيرة وكان يحبها ويعتني بها فشببت انا ايضاً ولي ولع بها. واخذت بعد ذلك تصف انواع الخيول التي كانت لابيها. غير ان

هذا الحديث لم يرق للخواجا ماير فاجتهد ان يغير الموضوع فلم يتيسر لهُ ذلك. لان ليزا كانت تعود اليه عمداً. ولما أعيتهُ الحيلة وقف بغتةً وقال لها — ايتها الآنسة اللطيفة لندع الان ذكر الخيول واوصافها ولننتقل الى موضوع حديثنا في اثناء المأدبة لانه لايخرج من افكاري وقد أخذ بمجامع فؤادي وكأن الذ وقعاً فيه من اجمل الالحان

فتبسمت ليزا ولم تزد. فقال ماير — انتِ تضحكين وهذه هي مصيبة الناس امثالي أن لا يصدقهم احدٌ حينما يعقدون النية على اصلاح سيرتهم والشروع في حياة جديدة. قالت — ولكن من ذا الذي يمنعك ياسيدي اذا اردتَ ان تبرز عزمك الى حيز الفعل؟ قال — تمنعني تربيتي فقط. لاني تربيتُ ولم أرَ في حياتي من يمسك شكيمة افكاري او يمانعني عن بلوغ مشتهياتي لان ابويَّ كانا يحباني كثيراً ويدللاني اكثر فلم تكن اوامري تُراجع ولا حكمي يخالف. ولذلك عكفت منذ الصغر على القصف واللهو والاسراف ولم يكن يقف في طريق مسراتي او يعوقني عن اتباع ملذاتي شيء بحيث كرهت اخيراً جميع هذه الملذات وصرت احسد الناس الذين يمكنهم ان يتلذذوا بحياتهم واعمالهم. فالعامل الذي يشتغل سحابة نهاره في الاشغال الشاقّة ولا يصدق عند المساء ان يقبض اجرته ليعود الى بيته محبوراً مسروراً هو اسعد حالاً مني لانه يشعر بالسرور واللذة. اما انا فلا اشعر بشيءٍ من ذلك وقد اصبحت حياتي عذاباً مستمراً وسروري شقاءً متواصلاً

قالت سمعت بطريقة حسنة يعالج بها من كان من امثالك ياسيدي وهي ان بعض نُطس الاطباء يعالجون الرجل الذي هذه اوصافه بالتضمير وشظف المعيشة حتى يضمر ويالف حياة الخشونة والفقر و بعد ذلك يعودون به الى رفاهيته السابقة فيلتذ ويغتبط بها. كما لو كان عندك بناء غير مرتب ولا متقن فانه يمكنك ان تهدمهُ من اساسه وتبنيه من جديد عَلَى الطريقة التي تريدها. وعليه فاري ان تستدعي طبيباً ماهراً ليعالجك بالطريقة التي ذكرتها فلا يمضي عليك زمن طويل الا وتصير تشعر بالجوع الذي تتوق اليه الان

قال — اراكِ قد عدت الى الازدراء كانكِ فهمتِ ان جوعي انما هو القوت والطعام الذي نأكله. ولا اخالك الا انك ادركتِ جيداً مرمى كلامي. فجوعي ياسيدتي هو روحي فقط وهو اشدّ بلاءً عليَّ من الجوع الجسدي ولعلك لا تقدرين ان تتصوري مقدار تعس الرجل الذي لايستطيع ان يلتذّ بشيء في حياته او يتاثر لشيء او يفهم ما هو الفرح الحقيقي وما هو الحزن الحقيقي. فانا هو الرجل الذي هذه صفاته ولقد ملت اخيراً الى المقامرة طمعاً باللهو وقتل الوقت غير ان هذا اللهو لم يمنحني ما انا طالبهُ لانه لايحرك فيّ العواطف ولاينبه فيّ الشعور. ولا البث ان اهجر اللعب واملّ من اللهو والمقامرة ولكن باي شيء اقدر ان اشغل وقتي واسرّ نفسي

قالت انت تنظر الى المستقبل نظراً مظلماً وقدقطعت كل أَمل من

الحياة السعيدة وعندي انك تقدر ان تشغل نفسك بامور كثيرة تعود عليك باللذة والغبطة وتعلمك قيمة نفسك وترشدك الى سبل الحياة الحقيقية ولا يلزمك الا ان تريد وتعمل لان الدنيا كلها وُجدت للعمل وكل انسان لايقدر ان يحيا بدون عمل ولو جمع في صناديقه كل اموال الدنيا. غير انك وكثيرين من امثالك المتمولين لا يلتمسون السعادة من وجوهها بل يزعمون ان العمل عارٌ وحطة فينصرفون بكلّهم الى ما شاءت اهواؤهم من الملاهي والشهوات والملذات والفخر الباطل وغير ذلك. مع انك لو اردت ان تعمل وتسر نفسك فامامك باب واسع يمكنك ان تسير فيه ولا تعود تشعر بشيء من السآمة والضجر. انت رجل واسع الثروة جدًّا فهل انشأت مثلاً مدرسة مجانية لابناء الفقراء والمحتاجين ؟ هل انفقت شيئاً من مالك عَلَى المستشفيات والعاجزين ؟ هل تبرعت بشيء لاجل بعض المشاريع الوطنية المفيدة هل وقفت شيئاً زهيداً من ثروتك الطائلة في وجوه البر والخير ؟ هل نشطت منتديات العلم والادب او ارفدت احداً من ارباب التصانيف العلمية او اصحاب الاختراعات والاكتشافات التي فيها اسعاد الحالة الاجتماعية او توسيع نطاق المدارك البشرية ؟.. انك لم تعمل شيئاً من كل هذا لانك مولع بالملاذ الباطلة فقط وتقول ليس لي عمل اسر به مع انك لو صنعت مبرّة واحدة فقط لشعرت حالاً بلذة داخلية تفوق جميع ملذاتك الحاضرة وتكون مدعاة لغيرها

من المبرّات التي تعود علَى المجتمع بالفائدة وعلَى نفسك بالغبطة الحقيقية

قال — اصبتِ ولكني محتاج الى من ينتشلني من هذه الوهدة المظلمة التي انا فيها ويسددني في سبل الصلاح ويرشدني برأيه ومودته الى الارتياض بالفضائل ومحاسن الاعمال · ولا يقدر احد ان يفعل ذلك الا اذا كان امرأةً اتمكن من حبها وحينئذٍ فحبها وحده يكون اكسيرًا حقيقيًا يحيي نفسي المائتة ويهبني السعادة الحقيقية

— ٦ —

ولما قال ماير ذلك انتعش وانطلق لسانه وظهرت ملامح الغبطة والسرور علَى وجهه · وكانت ليزا تسمعهُ بكل انتباه وسكينة وقد شعرت بانها من عالم وانه من عالم آخر فتأثرت له كما يتأثر المرء لسماع حديث المرضى او المختلين وقالت — فاذا كانت المرأة هي قبلة آمالك ومرمى اوطارك وانها وحدها فقط تقدر ان تنيلك بغيتك فلمَ لم ترَ واحدة من النساء لاجل ذلك ؟

قال — اني رأيت كثيرات يا سيدتي ولكن لم ينفتح صدري لواحدة منهنّ والسبب هو انهنّ كنّ يملنَ اليَّ طمعاً بمالي فقط وليس عن حب اكيد فاعرضت عنهنّ جميعاً

فتضايقت ليزا كثيرًا من هذا الكلام وقالت — اتمنى لك ان تهتدي الى من تكون بلسماً لدائك اما الان فاسمح لي ان اودعك لاني ارى في آخر الشارع عربةً

ولم يكن هذا الكلام الاَّ ليزيد ماير افتتاناً بمحاسن ليزا ويقوّي نبض الحب في قلبه فاعتقد بانها هي الفتاة التي يمكنه ان يحبها وظن انها لم تقل لهُ ذلك الاَّ لانها تخجل او لانها تريدان يعترف هو لها بالحب ويفاتحها فيه بكل صراحة ولذلك وقف عن المسير وقال لها واعلمي الان ايتها الآنسة العزيزة باني حالما رأيتك جزمت بانكِ انتِ فقط تتمكنين من إسعاد حياتي وانقاذي مما انا فيهِ من البلاء والتعس لانكِ سامية المدارك وعلى اعظم مبلغ من الذكاء والجمال وانت مع هذا كاتبة تشعرين بما يشعر به كل انسان لانكِ تصفين الناس في رواياتكِ علَى اختلاف اميالهم واهوائهم . فقابليني اذاً بالمحبة ايتها الحسناء وانا لا ابخل عليك بجميع كنوز اموالي واجعل اسمكِ مُطرَأً بكل شفة ولسان وشهرتك ذائعة في كل صقع ومكان

ولما قال هذا مدَّ اليها يديه . فذُعرت ليزا وتراجعت عنهُ الى الوراء وهي تقول خسئت ايها الغبي وهل تزعم انك تشتري المحبة بالمال

قال — كلا فلستُ أُريد ان اغريك بشيءٍ من هذا ولكن هو قلبي قد تمل بحسن سجاياكِ كما هام برائع جمالكِ ولذا فانا اتمنى ان اقاسمك الحياة مفضلاً العيش معك على العالم ومافيه من المجد والمسرات

ثم دنا منها وأمسكها وهو يريد ان يقبلها . اما هي فطار رشدها ولم تبطىء ان رفعت يدها فلطمته في وجهه لطمة قوية وافلتت منه وجعلت تعدو كالظبي الجافل وقد اصابه سهم الصياد . ولما وصلت الى

العربة التي راتها قفزت اليها وسارت نحو منزلها لاتلوي على شيء

ولم يكن الخواجاماير يتوقع مثل هذه المذلّة فتنهد طويلاً ثم انحنى على الارض فاخذقبعته التي كانت قدسقطت من شدة الضربة ومضى الي الملعب حزيناً آئساً

(تتمتها في الجزء القادم)



الطباعة

(تابع لما قبل)

وقد كتب على الرقاع امم كثيرة كاليونان والرومان والعرب والمصريين واليهود وغيرهم. وقرأنا في مجلة الهلال ان العرب كانوا يكتبون على الجلود فينظفون الجلد من الشعر والدهن ويجففونه ويكتبون عليه. وقد استخدمه كثير من الامم غيرهم وتفننوا في اصطناعه حتى بلغ حد الانتقان. وفي الكتبخانة الخديوية قرآن مكتوب على مئات من الجلود بالحرف الكوفي يقال انه كُتب في عهد الخليفة عثمان في صدر الاسلام. وممن استخدم الجلود للكتابة ايضاً اليهود كانوا يكتبون التوراة عليها. وفي المتحف البريطاني تُرى الاسفار الخمسة مكتوبةً عَلَى رقٍ طولهُ نحو ثمانين قدماً مصنوع من الجلود متصلة بعضها ببعض بصناعة عجيبة. وكان العرب يكتبون ايضاً عَلَى بعض الاقمشة وخصوصاً القباطي وهو نسيج من الكتان صنع مصر يسمون القطعة منه قبطية نسبةً الى القبط. والمعلقات

السبع كانت مكتوبةً بالذهب على هذا النسيج · وكانوا يكتبون ايضاً عَلَى قطع العظام او الخشب او الاحجار او سعف النخل او ما شاكل ذلك · وما زالوا يكتبون عَلَى الجلود والاقمشة وربما كتبوا عَلَى البابيروس ايضاً حتى اصطنعوا الكاغد (الورق) في اوائل الدولة العبَّاسيَّة · واما المداد وهو الحبر فكان القدماء يصنعونهُ من سخام القِدر وهو ما يرسب عَلَى اسفل القدر من المادَّة السوداء · او من الفحم الحيواني او من السناج وهو ما يرسب عَلَى المداخن او زجاجات القناديل من الهباب الاسود او من مسحوق الفحم الناعم · فتُمزج احدى هذه الموادّ بذوب الصمغ العربي ويُكتب بها · وكانوا يستخدمون حبراً احمر يصنعونهُ من الزنجفر والصمغ

اما القرطاس وهو الورق الحالي فلا يُستطاع تحديد زمن اختراعه بالتدقيق عَلَى ان المجزوم فيه هو ان الصينيين اول من اخترعوه واستخدموه كما ان اليهم ايضاً يُنسب اختراع البارود والطباعة وغير ذلك مما يشهد لهم بالسبق على امم الغرب غير انهم لم يقووا عَلَى نشر اختراعاتهم وتوسيع نطاقها واتقانها · وعَلَى هذه الصورة ظلت اختراعاتهم عَلَى ابسط حالاتها · ولم يظهر الورق في اوروبا الاَّ في القرن الرابع عشر اي قبل ان ظهرت الطباعة الحقيقية بقليل

وعليه فجميع المصنفات القديمة كانت خطية · وغير خافٍ ان استنساخ واحد من الكتب الكبيرة الخطيرة كالايليانة (١) والتوراة كان

يتقاضى زمناً طويلاً وعناء شاقاً ولاسيما اذا اريد التأنق في نساخته(٢).
وهذا مادعا الرومانيين الى تعيين طبقة معلومة من العبيد الارقاء لهذا الغرض فقط اي لنساخة الكتب فانشأوا اماكن مخصوصة سموها (المعامل النسخية) حيث كان قيم المعمل (او بائع الكتب) يملي على بضع عشرات او مئات من العبيد شيئاً من المصنفات الشهيرة او المنشورات الملوكية فيكتبها اولئك على البابيروس او الرق. وعلى هذه الصورة كان يحصل في وقت واحد مقدار من النسخ التي كانت عقيب ذلك تباع لطالبيها. وما لبث الرومانيون ان توصلوا بهذه الطريقة آنئذٍ الى نشر جريدة تنقل الاخبار الرسمية ومجمل الحوادث السياسية والمحلية
غير ان مثل هذه الوسائل لم تكن ميسورة الا للرومانيين القدماء لسببين الاول رواج التجارة بالرقيق والثاني تقدُّم هذه الامة العظيمة في العلوم

---

(١) هي رواية شعرية نظمها هوميروس إمام شعراء اليونان في القرن العاشر قبل الميلاد وعدد ابياتها ستة عشر الفاً وحوادثها تتعلق بحروب اليونان مع اهل تروادة. وقد نقلها الى اللسان العربي العلامة الشاعر المشهور سليمان افندي البستاني مندوب بيروت في مجلس المبعوثان

(٢) يقال ان الحريق الذي اصاب مكتبة القسطنطينية سنة ٤٧٧ للميلاد احرق نسخة من الالياذة كانت مكتوبة بالذهب على معى تنين طوله مئة وعشرون قدماً

والفنون لانه لما كادت تسقط المملكة الرومانية العظيمة وتنحل الى ممالك صغيرة حتى تضعضع التمدن القديم العظيم وكادت تتلاشى معه جميع مصنفاته الجميلة كما تلاشى حقيقةً عدد كبير منها وهذا مما لاريب فيه لان اوائل القرون الوسطى واواسطها (بالمقابلة مع تقدم اليونان والرومان) كانت ازمنة انحطاط وجهالة. فان العلم قد تأخر في تلك الآونة تاخراً بيناً ولم يبق منه الا اضواء ضعيفة كانت على الغالب محصورة في الاديرة وصوامع النساك وأضحت نساخة الكتب بيد الرهبان. وبديهيٌّ ان اولئك الرهبان لم يكونوا ينسخون الاَّ الاسفار الدينية والقديمة العهد (ستاتي البقية)



الزائرة الثقيلة

بعد ما استيقظ المسيو بولس وتناول طعام الصباح دخل عليه خادمه وقال — في الباب سيدة تريد مقابلتك فهل تأمر بادخالها؟ قال — دعنا منها لاني مشغول. قال — ولكنها قد جاءت خمس مرات واخبرتني انها في حاجة لمقابلتك فلا بد من امرٍ مهم يوجب قدومها والحاحها حتى انها تكاد تبكي. قال قل لها تنتظرني في غرفة الاستقبال. ثم نهض المسيو بولس فارتدى ثيابه بتأنٍ وذهب لمقابلتها وهو ماسك بيمناه قلماً وبيسراه ورقاً ليوهم الزائرة انه منشغل جداً. وكانت هذه الزائرة ممتلئة الجسم حمراء الوجه يدل منظرها على انها من الطبقة الراقية.

فلما رأَت صاحب المنزل داخلاً جعلت يديها عَلَى صدرها ورفعت نظرها الى فوق كأَنها تصلي ثم تنفست وقالت قد كان لي الشرف ان تعرفت بك سابقاً فالظاهر انك نسيتني فانا موراشكينا . فاظهر بولس علامة التعجب وقال تفضلي اجلسي فاية خدمة يمكنني ان اقدمها لكِ؟ فجلست والانفعال بادٍ عَلَى وجها ثم قالت انت لا تذكرني . فانا موراشكينا . واني أَعتبر معارفك واقرأُ كتاباتك بلذة عظيمة ولا تحسب كلامي هذا من قبيل التمليق . معاذ الله لاني لا اتكلم الاَّ الحقيقة فطالما قرأْت مقالاتك بما لا مزيد عليه من الاعجاب ولا اكتمك باني لست غريبة عن هذا الفن ولا أَدَّعي باني كاتبة شهيرة غير اني طبعت ثلاث قصص وترجمت عدة كتب وربما لم تقرأ شيئاً منها وقد كان المرحوم اخي محرراً في مجلة «العمل» فقاطعها بولس بقوله — حسن فاية خدمة اتمكن من ادائها لكِ؟ قالت يا حضرة المسيو بولس اني اعتبر مواهبك العظيمة ومقدرتك في فن الكتابة والانتقاد ولذا فقد جئت اليك لاقف عَلَى رايك في رواية الفتها . وقبل ان تسمع جوابه اخرجت من جيبها دفتراً كبيراً ثم مسحت عينيها بمنديلها وارادت ان تباشر القراءة . وكان بولس من اولئك الكتاب الذين لا تعجبهم الا كتاباتهم فتضجر من كلام السيدة ثم نظر الى الدفتر وقال لها — اتركيه فسأطالعه وحدي . فنظرت اليه بتذلل وقالت بلطف — انا اعلم ياسيدي انك

مشغول والوقت ثمين لديك لكن مع هذا اتوسل اليك ان تأذن لي بقراءة هذه الرواية · فتململ بولس وقال ولكني مشغول لسوء الحظ فقد دُعيت الى محلٍ و يتحتم علي الذهاب الان· قالت وقداغرورقت عيناها بالدموع ــ اني وقحة يا سيدي وقد ازعجتك ولكن كن شهماً وضحّ ِ لي من وقتك نصف ساعة لاني غداً مسافرة الى مدينــة اخرى · وهذا ما يضطرني الى الالحاح عليك· فقط نصف ساعة·· وما كان هذا الكلام ليوءثر في بواس ولكنهُ رأى السيدة مستعدة ان تجثو امامه فلم يقدر ان يرفض قضاء سوءلها فقال ــ حسن فانا مستعد ان ابقى هنا نصف ساعة لاستماع روايتك · فتهلل وجه موراشكينا وما عتمت ان شرعت في تلاوة الرواية وخلاصتها (ان خادماً كان يتحدث مع خادمة عن سيدتهما· وانها كانت قد بنت مدرسة ومستشفى··· و بعد فراغهما من الحديث يخرج الخادم وتلفظ الخادمة خطاباً موضوعه ــ العلم نور والجهل ظلمة — · ثم يعود الخادم ويخبر رفيقته بان سيدها يرغب ان يزوج ابنته حنة باحد مأموري الحكومة المدعو فالنتيت· بعد ذلك تخرج الخادمة وتدخل حنة وتخبر الحاضرين بانها حُرمت لذة الكرى لتفكرها بحبيبها فالنتيت الذي يساعد اباه مجاناً وانه قد درس علوماً كثيرة ولا يثق بالصداقة والمحبة و ينتظر الموت بفارغ الصبر ولذلك فقد عزمت هي علَى انقاذه ···)

وكان بولس يسمع ذلك بكل ضجر وينظر الى موراشكينا مغضباً ويقول في نفسه — « وهل انا متشوق لسماع ثرثرتك ايتها الحمقاء وما ذنبي اذا كتبت هذه الرواية٠٠٠اف ما أسمك هذا الدفتر٠٠٠ بالحقيقة انها مصيبة عظيمة٠٠٠» ثم نظر الى الحائط فرأى صورة امرأته وتذكر انها اوصته ان يحضر لهامعه للمصيف خمسة اذرع بريم واوقية جبن وشيئاً من (مسحوق الاسنان) وكان قد فقد مثال (مسطرة) البريم فجعل يناجي نفسه بقوله : « عجباً واين فقدتهُ؟٠٠٠ ربما نسيته في السترة الزرقاء٠٠ اف إن الذبان شوَّه منظر الصورة بهذه النقط فاليوم انبه الخادمة لتمسح الزجاج٠٠٠» ثم رجع الى نفسه ونظر الى موراشكينا فرآها تقرأ (المشهد الثاني عشر) فظن ان الفصل الاول قريب الانتهاء وعاد فتاه في افكاره وقال في نفسه: « هل لهذه السيدة ذوق في تأليف الروايات٠٠؟ الاحسن لها ان تاكل شيئاً بارداً وتنام في قبو من ان تشتغل بهذ الفن٠٠٠ » وإن هو لكذلك قطعت موراشكينا مجرى افكاره بقولها له — الا ترى ان هذا الخطاب طويل ياسيدي؟ فخجل بولس ولكنهُ اجابها فوراً — لا٠لا٠ انه معتدل ٠ فطفح وجه موراشكينا سروراً وواصلت قراءتها (حنة تخاطب فالنتيت — لقد اضنكت نفسك بالانتقاد والبحث حتى سئمت الحياة القلبية وتفرّغت للحياة العقلية فقط٠ فيجيبها فالنتيت — وما هو القلب؟ اذا كنا نقصد بهذه الكلمة حاسة خصوصية فانا لا اعترف بوجودها٠

فتقول حنة — والمحبة ؟ ايمكن ان تكون نتيجة توارد الافكار ؟ قل لي الحقيقة هل احببت احداً قبل اليوم ؟ فيجيبها فالنتيت — دعينا من ذكر المصائب القريبة العهد واخبريني بماذا تفتكرين ؟ فتقول حنة — يظهر لي انك تعس٠٠٠٠) وبينما كانت موراشكينا تقرأ (المشهد السادس عشر) تثاءب بولس فسمع لاسنانه طقطقة اشبه بطقطقة اسنان الكلب حينما يمسك ذباباً ثم تظاهر بالانتباه التام ليخفي ما يبدو منه٠ ولما وصلت الى (المشهد الثامن عشر) جعل يفكر : متى ينتهي هذا الفصل يا الهي ؟ اذا طال عشر دقائق اخرى فاني انادي الخفير لامحالة٠ اما موراشكينا فجعلت تقرأ بسرعة وبصوت مرتفع واخيراً قالت (ويسدل الستار) فتنفس بولس الصعداء وهمّ بالنهوض غير ان موراشكينا قلبت ورقة من الدفتر وقرأت (الفصل الثاني ٠ يمثل المرسح شارعاً قروياً الى احدى جهتيه مدرسة والى الاخرى مستشفى وعلى درجات الشارع فلاحون وفلاحات ٠٠٠) فقطب بولس حاجبيه وقال لها — اعذريني فكم فصلاً روايتك ؟ قالت — خمسة فصول ٠ ثم تابعت قراءتها (٠٠٠ ومن شباك المدرسة ينظر فالنتيت الى المرسح فيرى في اخره فلاحات يحملن امتعتهنّ الى الخمارة ٠٠٠) وكان بولس في هذا الوقت كرجل حكم عليه بالموت وليس له امل في النجاة وقد اجتهد ان يظهر علامة الاصغاء والانتباه وان لا تغمض مقلتاه ولم يعد يفتكر في انتهاء الرواية لان ذلك صار يظهر له بعيداً جداً

وبقي صوت موراشكينا يدوي في اذنيه وهو لا يفقه شيئاً.
ثم غاص في تأملاته وقال في نفسه: «اني لم اشرب دواء... ثم نسي بماذا افتكر وقال — بماذا افتكر الان؟ آه. صحيح افتكرت بالدواء.... الاغلب اني مصاب بألم في معدتي... والامر العجيب ان صديقي سميرنوف طول النهار يكرع خمراً ولم يصبه ضرر...» ثم شعر بالتصاق مقلتيه فبذل جهده ليفتحهما وتثاءب دون ان يفتح فاه وجعل ينظر الى موراشكينا فتحولت في نظره الى ضباب وخيل له انها تهتز وان لها ثلاثة رؤوس وقد وصل راسها الى السقف... وما كاد يمر بذهنه هذا الفكر الا وسمعها تقرأ (يقول فالنتيت — اسمحي لي بالسفر فتجيبه حنة مذعورة — ولماذا؟ فيقول فالنتيت لوحده انها اصفرت. ثم يخاطبها بصوت عالٍ — لا تحوجيني الى ذكر الاسباب لاني افضل الموت على ذكرها لك. فتقول حنة — لا. لا يمكنك السفر).
فتراءى لبولس ان موراشكينا تنتفخ وقد ملأت الغرفة ولم يظهر له بوضوح الا فمها واخيراً ظهرت له بحجم القنينة واختفت مع المائدة في الغرفة...

وظلت موراشكينا تقرأ (فالنتيت يعتنق حنة ويقول لها — انتِ احييتني لانك اوضحت لي ماهية الحياة وانعشتني كما ينعش المطر الارض ولكن فات الاوان لاني مصاب بداء عياء في صدري...)

فاهتز بولس في مكانه وحدق فيها دقيقة بعينين فقدتا الادراك كانه لا يفقه شيئاً . اما موراشكينا فكانت تقرأ (المشهد الحادي عشر . المذكورون والبارون وضابط وبعض اقارب . فالنتيت يقول — خذوني . حنة تقول خذوني . خذوني معه . اني احبه وافضله على حياتي . . فيقول البارون — ياسيدتي بهذا العمل تقطعين آمال ابيك وتميتينه حزناً . . .) ثم تراءى لبولس ان موراشكينا تنتفخ فنظر اليها باعين وحشية وصرخ صوتاً من اعماق صدره واخذ عن المائدة نشافة خشبية ورماها بها فاصاب راسها وصاحت باعلى صوتها فدخل الخادم وصاح بولس — خذوني وسلموني للقضاء فانا الذي قتلتها . . .

غير ان القضاة لما علموا بحكاية حاله اطلقوا سراحه

عن الروسية عبده ابو جمره

شهيدان

في ابان الثورة الرومانية كانت رومية مهبط القبائح والفواحش لما مُثل فيها على مراسح الظلم من ادوار الفتك بالنصرانية اذ كان الوثنيون يعاملونهم افظع المعاملات ويذيقونهم اصناف العذابات كاحراق اجسادهم او تقطيع اعضائهم او تقديمهم فريسة للوحوش الضارية . من ذلك ما جرى لامرأة فقيرة لم تكن تملك من الدنيا سوى ولد

وحيد وقد ربته بدموعها وتعبها حتى اذا صار يافعاً جاء الظالمون وقبضوا عليهِ وعلى والدته وساقوهما الى الحاكم وهذا امر بايداعهما اظلم السجون وفي اليوم التالي جيء بهما الى حيث كان الحاكم فنظر اليهما بعين الانتقام وقال قد بلغت انكما تدينان بغير دياتني فان كان ذلك غير الواقع فبادرا الان الى تقديم القربان لآلهتي · فنظرت اليه المرأة بثبات جاش وقالت — نعم فانا لا ادين بديانتك لاني اعبد الاله الحقيقي خالق السماء والارض · فقطب الحاكم في وجهها وشرع يتهددها تارة ويتملقها اخرى واذ راى ان كلامه ذهب ادراج الرياح عمد الى الولد وقال بقصد استمالته يابني اني ارى سيماء الذكاء تلوح في مقاتيك فاسمع مقالي ولا تخيب رجائي فيك تبلغ ذرى المجد وترقى مراتب السؤدد وويل لك اذا خالفتني · فاوشك الولد ان يذعن لاحتيالهِ غير ان والدته جددت في صدره عوامل الحماسة الدينية بقولها لهُ في لغتها التي كان يجهلها الحاكم : اذكر ايها الولد الحبيب اني حملتك في احشائي تسعة اشهر وارضعتك من لباني واحتملت من اجلك انواع الآلام والمشقات لتقرَّ بك عيني ويبتهج قلبي فلا يغرنك مثل هذا الكلام الى مخالفة الله ووالدتك حباً بعيشة قصيرة زائلة فكن ثابت الجنان ولا تدع لهذه التمليقات سبيلاً الى قلبك ولا تدعني اموت حسرة عليك بل مسرورة بعملك · وما سمع الولد هذا الكلام حتى تقدم بجرأة الى الحاكم وقال — كلاَّ ثم

كلا فاني افضل الموت الف مرة من ان اخضع لك واترك ديني الذي رضعته مع اللبن . ثم التفت الى والدته وانطرح بين ذراعيها وهو يقول — اماه فلنمت معاً . فاستشاط الحاكم حدةً وغضباً واعترته رجفة قوية من هذا الحديث وقد تلظت في قلبه نيران الانتقام . وثب وثبة هائلة اذعرت كل من في المجلس وانتشل الصبي من بين ايدي والدته وجلد به الارض فراح يختبط بدمائه على بلاط المرمر ثم الحق به والدته التاعسة التي نظرت بعينيها موت ولدها وفلذة كبدها وقد تقطع فوءادها قبل ان ذاقت كاس المنون

الياس سمعان منصور

منثورات

﴿ المحسن ﴾

في ذات يوم جاء رجل الى منزل احد الكهنة في باريز . وكان هذا الكاهن مشهوراً بكرمه ومواساته لاهل البؤس والشقاء . فقال له الزائر اسمح لي ايها الاب المحترم ان استلفت نظرك الى اسرة فقيرة جداً ساكنة في احقر غرف احد المنازل وهي موءلفة من اب وام وعدة اولاد . وقد مات الاب منذ مدة قصيرة ووقعت الام في مرض شديد بحيث لم تعد تستطيع الشغل والاولاد الان يتضورون جوعاً

وليس لديهم شيء يقتاتون به وزد على ذلك فصاحب المنزل يضيّق عليهم ولا يسمح لهم بالبقاء في تلك الغرفة الا اذا دفعوا اجرتها وقد بلغت خمسة وستين فرنكاً فان دفعوها والا فهو مزمع ان يطردهم من منزله

فلما سمع الكاهن هذا الكلام ظهرت علامات الاسف والحزن على وجهه فاخرج من جيبه عدة قطع ذهبية واعطاها للزائر قائلاً — خذ هذه فلعلك بها تقدر ان تخفف من بلايا هولاء التعساء وتلطف من احزانهم وقريباً ازورهم وأعتني بهم ولكني ارجوك ان تعرفني بحضرتك لاذكر اسمك في كل مكان واشكرك على اهتمامك بمثل هوءلاء المحاويج البوءساء واحسانك اليهم

فقال — انا هو صاحب المنزل الذي هم ساكنون في احدى غرفه . . .

فلله دره من محسن كبير . . .



﴿ كرسي المنتحرين ﴾

في احدى حدائق نيويورك كرسي اشتهر بكثرة حوادث الانتحار التي جرت عليه حتى صار الجمهور ورجال الشحنة ايضاً يسمونه «كرسي المنتحرين» ففي مدة سنتين فقط تقدم على هذا الكرسي اربعون ضحية من البشر . واول حادثة جرت عليه من هذه النوع

كانت سنة ١٩٠٢ وكان المنتحر شاباً في مقتبل العمر فقد ماله في احد اندية القمار ولما تولاّه اليأس اطلق على رأسهُ عياراً نارياً

وكان بعد هذه الحادثة بثلاثة اسابيع ان حارس الحديقة شاهد ليلاً على الكرسي المذكور شيخاً فتقدم اليه متعجباً فرآه في سكرات الموت وبعد التحقيق عُلم انهُ مسموم فنقلوه وهو فاقد الشعور الى المستشفى . وفي اعقاب هاتين الحادثتين اشتهر اسم هذا الكرسي وذكرتهُ الجرائد وصار الناس يغدون اليه للفرجة . وفي صيف تلك السنة انتحر عليه ستة اشخاص فطلب بعض الناس اخراجهُ من الحديقة او مواراته عن الابصار فاعترض رجال الشحنة على ذلك بقولهم ان المنتحرين يمكنهم ان يجدوا مكاناً آخر اذ ليس للكرسي علاقة بالانتحار ولذلك فليس من موجب لمواراته . وفي اوائل سنة ١٩٠٣ شاهد احد رجال الشحنة على هذا الكرسي الشهير جثة فتاة جميلة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمرها وبعد التحقيق في امرها عُلم انها كانت تقرأ حوادث المنتحرين بكل شغف ومرة اعلنت انها تريد ان تنهي حياتها على كرسي المنتحرين وهكذا كان . فطلب ابو الفتاة اخراج الكرسي من الحديقة فلم يجب طلبه . وبعد بضعة ايام من هذه الحادثة وُجد على الكرسي رجل وزوجته وهما حديثا السن وقد عُرف من امرهما انهما حينما أُغلقت دونهما ابواب الرزق جاءا الى الحديقة فجلسا على الكرسي واقاما ينتظران خروج الحارس حتى اذا

خرج تعانقا ثم تجرّعا سمّاً ذعافاً وفاضت روحاهما وهما متعانقان



﴿ روضة الشام ﴾

استحسنت جريدة روضة الشام النبذة المطبوعة في النفائس بعنوان «البوسنه والهرسك» فنقلتها في عددها السابع بالحرف الواحد دون ان تشير الى مصدرها وفي ذلك اجحاف بالحقوق كما لا يخفى على حضرة الفاضل صاحب هذه الجريدة الغراء



﴿ آثار ادبية ﴾

المرج — عنوان جريدة اسبوعية سياسية ادبية اقتصادية لصاحبيها الفاضلين الدكتور اسعد افندي رحال ودانيال افندي زعرب وقد وردنا العدد الاول منها فوجدناه مشتملاً على كثير من المقالات والنبذ اللطيفة في الاغراض المشار اليها· وهي تصدر في جديدة مرجعيون وقيمة اشتراكها ريالان مجيديان في الجديدة وجوارها وريالان ونصف في سائر الولايات العثمانية· فنثني على همة صاحبيها الفاضلين في خدمة الادب والوطن ونرجو لجريدتهما الثبات ومزيد الانتشار

فقالت له الملكة — لماذا لا أراك الا نادراً ايها السير مع انك اخص المقربين الى زوجي الملك؟ ولكني مع هذا أعلم انك مستعد لخدمتي

قال — انت تعلمين ياذات الجلال ان حياتي . . .

فقاطعتهُ الملكة بقولها — لا . لا . انا اعلم ان حياتك كما وحياتي ايضاً هي للملك وللبلاد وقد استدعيتك الان لاحادثك قليلاً في هذا الموضوع المهم فالملك يركن اليك كما يركن اليَّ وانت لن تخونه كما اني لن اخونهُ انا ايضاً ولكن انت صديقه واما انا فلست الا زوجته وعليه فانت المسؤول بكل شيء يحدث له

قال — غير ان الملك يامولاتي يتصرف كما يشاء وحياته المقدسة ليست في يدي . انا مستعد ان ادافع عنه حتى آخر قطرة من دمي ولكن ما فائدتي اذا كان هو بمطلق ارادته واختياره لا يتحذر لنفسه بل يقابل الخطر مقابلة ولا يريد ان يسمع من احد تحذيراً فهل عليَّ بعد هذا ان اكون المسؤول عن كل شيء؟

قالت — لا أُريد ان اعرف شيئاً سوى اني واثقة بك ولا اريد ان اعرف سواك مسؤولاً بكل شيء فانت رجل حازم وشجاع . واذا كان الملك لا يعرف الحذر فعلى خدمه الامناء ان يلازموه على

الدوام فيخفروه باجسادهم ويفدوه بارواحهم وخصوصاً اذا راوه يسير الى الخطر مدفوعاً الى ذلك بعواطف شريفة · وعليه فاذا حدث للملك مصيبة ما فاياك ان تقابلني او تريني وجهك

ولما قالت هذا مدت اليه يدها ثانيةً فعلم ان المقابلة قد انتهت فقبلها وخرج وهو مندهش لتغيُّر اطوار الملكة لانها من يوم زواجها بالملك حتى هذه الساعة لم تكن تهتم بشيء من مصالحه وشؤونه · فماذا جرى لها بعد مرور هذه السنين العديدة وهي في تلك الحالة حتى غيّرت فجأة طبيعتها وصارت تفتكر بالملك وحياته · · · ثم تنفس طويلاً وقال — اني تعِسٌ جداً اذ كيف استطيع في وقت واحد ان احب الملكة واكون مسؤولاً عن حياة الملك؟ ومن يستطيع ان يقوم بهاتين المهمتين في آنٍ واحد ويعلم الله اني لو لم احب الملك لكنت خرجت من هنا منذ زمان طويل وبحثت لي عن خدمة اخرى في غير هذه الدائرة المحفوفة بالاخطار والاهوال

ودخل بعد ذلك الى القصر وما كاد يسير قليلاً حتى ابصر في بعض الدهاليز رجلاً في بذلة عسكرية حربية فعرفه للحال انه برنغوف رئيس الشحنة فحياه كصديق وساله عن غرضه · فتبسم برنغوف وقال ان جلالة الملك قد امر باستدعائي فجئت وها انذا بانتظار اوامره

فلم يندهش روجر كأنهُ علم الغاية من استدعائه فانحنى لهُ

بشاشة وسار الى غير مكان

الفصل الرابع والعشرون

كبير الوزراء

وعند منتصف النهار وقفت امام القصر عربة فخيمة وخرج منها كبير وزراء المملكة المركيز دي اوتيرا وهو رجل ضخم الجثة صغير العينين كبير الفكين وكانت ملامح وجهه تدل على انه في قلق شديد ولما نزل من العربة وقف قليلاً ثم دخل القصر وصعد سلماً عريضاً يؤدي الى مخادع الملك فالتقى في طريقه برئيس الشحنة نازلاً فدهش واستغرب وجود هذا الرجل في القصر في مثل هذه الساعة من النهار. ولما رآه الرئيس انحنى له وسار في طريقه. اما المركيز فخفض راسهُ قليلاً ولم يكلمه بكلمة ولما بلغ فسحة القصر استقبله السير روجر فسأله المركيز اني رأيتُ الان برنغوف فهل كان عند الملك ؟

قال نعم

قال وهل فُقد شيء من القصر ؟

فتبسم روجر وقال — لا أظنُّ ذلك

فازداد المركيز ذهولاً وقال — وكيف صحة جلالته؟

قال — على ما يرام وهو بانتظارك ياحضرة المركيز فاسمح لي ان اسير بك اليه

قال هذا ومشى والمركيز يتبعهُ حتى اذا بلغ ردهة الجلوس أدخل المركيز على الملك ثم خرج واغلق الباب ووقف ينتظر خروجه

وبعد نحو ساعة فُتح باب الردهة وخرج منه الملك وقد وضع يده عَلَى كتف المركيز وهو يقول لهُ — فاذاً انت لا تريد مرافقتنا الى الجزائر ياحضرة المركيز ويُخيَّل لي انك بهذا المقدار منهمك بشوءون المملكة حتى انك لا تقدر ان تنتهز ولا فرصةً قصيرة للنزهة فحسناً تفعل لانك تفضل خدمة مصالح الامة عَلى كل ما سواها لا بل انك تضحي كثيراً من مصالحك الذاتيّة في سبيل المنفعة العمومية

اما المركيز فكان واقفاً امام الملك بوجهٍ اصفر عليه ملامح الذعر والخيبة. فلما فرغ الملك من كلامه قال له — والذي يزيد في اهتمامي بنوع خاص هو حرج الموقف الذي انتهت اليه مخابراتنا مع الدولة المجاورة وليس لنا مخرج من هذا المأزق الاَّ الحرب وجلالتك لا تريد ان ترضى بها فلم يبقَ لي الا ان أعرض ذلك عَلى مجلس الامة

فضحك الملك وقال — وانا ارجوك ان تفعل هذا لا بل ارجوك ان تبرهن للمجلس اني لاعباً بالدستور وقد يمكن ان تكون نتيجة ذلك خلعي وتمليك غومفري بدلاً مني بشرط ان تسألوا اولاً الشعب فاذا

حكم عليّ فأنا ارضخ لحكمه . اما المخابرات العدائية الجارية الان بيننا وبين المملكة المجاورة فارغب في استبدالها بمخابرات سلمية لا تضر بمصلحة المملكة ولستُ ارى في ذلك ما يدعو الى الحرب .. والان افلا ترافقنا في نزهتنا ؟

قال — اسمح لي يا سيدي ان ارفض ذلك لعدم تمكني من التشرُّف بمرافقة جلالتك الان

وكان الاثنان قد سارا في الدهاليز ووقفا في اعلى الدرج فقال الملك — انت تعلم يا حضرة المركيز ان بعض الملوك كثيراً مايخرجون من بلادهم ويروضون انفسهم بالسياحة في ممالك اخرى اما نحن فلم نخرج بعد من عاصمتنا وارى ان في ذلك ما نُلام عليه لان من واجباتنا ان نرى رعيتنا في سائر جهات المملكة لنطلع عَلَى احوالها وشؤونها ونسعى في اجرآء كل ما يؤول الى صلاحها وخيرها . وهذه الجزائر لا تبعد عن العاصمة الا ساعتين فقط ومع هذا فنحن لم نطأها بعد وقد يمكن اننا بهذه النزهة القصيرة سنقف عَلَى اشيآء كثيرة مفيدة ومهمة

قال — وهل علم سكان الجزائر بقدوم جلالتك ؟

قال كلا وانا انما اردت ان نباغتهم لنشاهد باعيننا احوالهم الخصوصية

ثم مدَّ يده وصافح المركيز مودعاً وقال فجأة — قد نسيت ان

البس خاتمي ولا اريد ان اعود الى حيث تركته فهل لك يا حضرة المركيز ان تعيرني خاتمك الى الصباح؟

قال — لي الشرف ان اقدمهُ لك ثم نزع الخاتم من اصبعه وناولهُ للملك فاخذه الملك ولبسهُ وهو يتامّلهُ ويقول — انهُ لازورد جميل جداً ولعلهُ يفوق خاتمي الياقوتي الاحمر

فاجاب المركيز وهو يظهر علامات الشكر — انك يا مولاي قد اعليت شانهُ كثيراً وقد صار الان في عيني ذخيرة لا يعادلها ثمن

قال — الى الملتقى اذاً ايها المركيز وسأراك في هذا الاسبوع وعسى ان اسمع منك بشرى سارّة بخصوص المخابرات مع المملكة المجاورة

ولما انصرف المركيز نزل الملك في الدرج يتبعهُ روجر فالتفت اليه متبسماً ثم اراه الخاتم في يده وقال — هذا هو خاتم كبير لوزراء فلعله يفيد الملك ايضاً

الفصل الخامس والعشرون

الجزائر

كانت هذه الجزائر تبعد عن العاصمة نحو ساعتين في البحر وهي عبارة عن بعض جزر صغيرة صخرية ليس فيها ما يستحق الذكر ولم يكن فيها من البقع الصالحة للزراعة الا شيء قليل جداً فكان عموم سكانها على هذه الصورة يشتغلون بصيد المرجان من البحر وبيعه في

العاصمة او في غيرها من المدن الكبرى . وكانت معيشتهم في الغالب هادئة سلمية لا يكاد يعكر صفاء حياتهم شيء . ولم يكن احد من الغرباء يطأ هذه الاماكن الا بعض افراد قلائل من محبي العزلة والخلوة او من علماء النبات والطبيعة ولذلك فقد شاع عنها قصص وخرافات غريبة كانت الالسنة تتناقلها حيناً بعد حين

وكان قاطناً في احدى تلك الجزائر رجل طاعن في السن مجهول الاصل التقطه الصيادون عن وجه المياه وكان قد انكسر المركب الذي كان مسافراً عليه ولم ينج من ركابه احد غيره فعقد النية على سكنى تلك الجزائر ولم يلبث ان ابتنى لنفسه في احداها بيتاً من الجسور وقطع المراكب التي كانت تغرق في البحر وتقذفها الرياح وقد احبه الاهلون واحبوه لانهم رأوا فيه رجلاً عاقلاً خبيراً واسع الاطلاع لا يكاد يساله احد منهم شيئاً الا ويفيده عنه الفائدة المطلوبة فلقبوه لاجل ذلك « بفيلسوف الحياة » وكانوا يجلونه كثيراً و يرغبون في خدمته

☆

كان النهار دافئاً والجو صافياً ويخت الملك يسير على وجه الماء بكل سرعة ولم يكن فيه الا الملك والملكة وبعض وصائفها والسير روجر وربان اليخت والنوتية

وكانت الملكة في هذا النهار مسرورة جداً فكانت تخاطب الملك وتمازح وصائفها وقد راى الجميع فيها تغيراً ظاهراً في الاطوار ولا

سيما في علاقتها بالملك لانها كانت تنظر اليه في الايام الثلاثة الاخيرة بخلاف ما كانت تنظر اليه قبلاً وقد شعرت نحوه بعاطفة اعتبار لم تكن تشعر بها قبلاً فجزمت بانه ارفع منها نفساً وقلباً كما انه اعلى سلطة.
نعم انها قبل هذه الايام الثلاثة الاخيرة كانت تحتقره في قلبها ولم تعتبره لانها لم ترَ فيه صفات الرجولية اما الان وقد غيَّر مسلكه القديم وعزم على ان يكون ملكاً حقيقياً فقد اعتبرت عمله ولم تتمالك من اظهار ارتياحها وسرورها وامّلت ان يكون للمملكة من وراء ذلك شان خطير

ولما كانت الملكة تساير وصائفها انفرد الملك بالسير روجر وقال — ألم ترَ اليوم ولي العهد ؟ فقد ارسلت اليه صباحاً اخبره بعزمنا على السفر الى الجزائر وعرضت عليه مرافقتنا ولكني علمت انه ركب جواده وخرج للنزهة في ارباض العاصمة فهل ذلك صحيح ؟

قال — اني في هذا الصباح قد رايت سموه في الحديقة وكان بيده كتاب فجاء الى حيث كنتُ والاستاذ هنري وبعد محادثة قصيرة انصرف الاثنان يتحادثان في موضوع الكتاب ولم اعد اعلم شيئاً

قال فاذاً انت لا تعلم ايضاً اين هنري فقد ارسلت استدعيه وعلمت انهُ ليس في القصر

قال سمعت انه قد خرج ايضاً للتنزه